

حذف الحرف وذكره :

بعد أن حدثناك عن استعمال الأحرف المختلفة في أماكن متشابهة ، سنحدثك عن ذكر حرف في آية وحذفه من أخرى ، مع ما بين الآيتين من تشابه ، فلماذا حذف ؟ ولماذا ذكر ؟.

١- قال تعالى عن ثمود لنبيهم صالح عليه السلام ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ [الشعراء: ١٥٣-١٥٥] ، أما قوم شعيب عليه الصلاة والسلام فهذه مقالاتهم كما جاءت في كتاب الله ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ [الشعراء: ١٨٥-١٨٦] . فنحن أمام آيتين متحدثين في الجواب : ذكر حرف العطف في إحدهما ولم يذكر في الأخرى ، فما هو السر البياني يا ترى . يقول الدكتور فضل حسن عباس رحمه الله: إن كلمة مسحريين لها معنيان : يمكن أن تفسر بالمسحورين الذين أصيبوا بمس واختلط الأمر عليهم ، ويمكن أن تفسر بمن لهم معدة ورئة يأكلون ويشربون ، والذي نراه هنا التفصيل فما قاله قوم صالح - عليه الصلاة والسلام - تعني أنهم بشر يأكلون ويشربون ، وما قاله قوم شعيب - عليه الصلاة والسلام - قصد به من المسحورين ، وحجة ذلك أن كلمة مسحريين : حينما تفسر بصاحب المعدة والرئة ، الذي يأكل ويشرب فإنها تكون مساوية للبشرية ، أما إذا فسرت بالمسحور ، فإنها لن تكون كذلك. إذ معنى المسحورين الذي قصده قوم صالح هو أنك ذو رئة تأكل وتشرب ، ثم جامت الجملة الثانية تؤكد هذا المعنى (ما أنت إلا بشر مثلنا) ، فإن كونه يأكل ويشرب ، معناه أنه بشر ، فالجملة الثانية إذن ليست أجنبية عن الأولى ، بل هي تأكيد لها ، فبين الجملتين كمال اتصال كما يقول علماء البلاغة ، لذا لا يجوز أن تتوسط الواو بينهما ، لأن العطف يقتضي التغاير ولو وسطت الواو لكان لكل من الجملتين معنى يختلف عن معنى الأخرى . وعلى العكس من هذا ما قاله قوم شعيب و إنما أنت من المسحورين وما أنت إلا بشر مثلنا ، فكلمة (مسحورين) يجب أن تفسر بالمسحورين الذين مسهم الشيطان واختلط عليهم الأمر ، وهذا يختلف عن كونهم بشرا ، فقوم شعيب الصقوا بنبيهم تهمتين : كونه مسحورا أولا ، وكونه

بشرا ثانيا ، ولا شك أن كلا من التهمتين تختلف عن اختها ، لذا وسطت واو العطف ، لأن العطف يقتضي التغاير كما قلنا ،

٢- **نقرأ في سورة الواقعة (أفرايتم ما تحرثون ، أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ،** لو نشاء لجعلناه حطاما) (الواقعة : ٦٣] ثم نقرأ قول الله تعالى عقب الحديث عن (الماء) (أفرايتم ما تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا) (الواقعة : ٧] فلماذا جاءت اللام في آية وحذفت من الثانية ؟ الآية الأولى جاءت حديثاً عن الزرع ، والثانية عن الماء . ونحن نعلم أن قدرة الناس فيما يظنون على التحكم بالزرع أكبر من قدرتهم على التحكم في أمور الماء ، لذلك جاءت هذه اللام المؤكدة ، فيما يظن الإنسان أن له قدرة عليه ، وهو الزرع ، لكنها حذفت عند الحديث عن الماء ، حيث يعترف الإنسان بعجزه وتقصيره في هذا المجال.

٣- **تحدث القرآن ، الكريم عما خص به أهل الجنة ، وعما أنعم الله به على الناس في** سورة (المؤمنون) يمتن الله على الناس بقوله ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٩] ، ونقرأ في الدنيا ، ففي سورة الزخرف ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢-٧٣] . فلم جاءت هذه الواو في الآية الأولى حديثاً عن نعم الله على الناس في هذه الحياة ، وحذفت عندما كان الحديث عن الجنة وأهلها ؟ ، إن جنات أهل الدنيا ليست كلها معدة للأكل ، فهناك أغراض كثيرة ، لعل في مقدمتها التجارة ، ومنها التصدق والإهداء .. أما فاكهة أهل الجنة فليست كذلك فإن الهدف الرئيس والغرض الأساسي منها هو الأكل وحده .

٤- **قال تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]** وقال سبحانه ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]

فالأية الأولى جاءت تحذر المؤمنين من أمرين اثنين ، الوهن والحزن ، والوهن والحزن أمران ليسا من الفضيلة ولا من الخير في شيء ، فلا يجوز للمؤمنين أبداً أن يركنوا إلى واحدة من هاتين الصفتين .

أما الآية الثانية : فكان النهي فيها عن امرين اثنين كذلك : الأول الوهن ، أما الثاني فهو الدعوة إلى السلم (الصلح والمصالحة) ، ولكنه لم يقترن يحرف النهي (لا) الذي اقترن به الحزن ! وما ذلك – والله أعلم بما ينزل - إلا لأن الحزن شر في كل وقت ، أما الدعوة إلى السلم فليس كذلك، إنما هو شر حيناً ، ولكنه قد يكون خيراً حيناً آخر ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١] ولكنه شر حينما يكون استسلاماً وحينما يقترن بالضعف والوهن ، كما هو الشأن في أيامنا هذه . فلو أنه قيل (فلا تهنوا ولا تدعوا إلى السلم) لكان محرماً على المسلمين في كل حين وعصر ، وليس هذا من شأن الإسلام ، لكن نظم الآية على ما هو عليه (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم) جاء يحرم على المسلمين الدعوة إلى السلم الناشئة عن الضعف ، والتي هي خضوع وخنوع وذل لا يرتضيه الإسلام ولا يليق بالمسلمين .

رابعاً : الجملة القرآنية :

في الجملة القرآنية مظاهر كثيرة من مظاهر الإعجاز ، ومن هذه المظاهر ما تجده في بعض الجمل من تأكيد على حين ترى غيرها مما يشبهها خالية من هذا التأكيد ، ومن مظاهرها كذلك الحذف والذكر ، فقد نجد جملاً ذكرت فيها بعض الكلمات ، على حين نجد جملاً أخرى مشابهة لها قد حذفنا منها. كذلك التقديم والتأخير ، قد تجد بعض الجمل قدمت فيها بعض الكلمات ، ولكن هذه الكلمات نفسها أخرجت في جمل أخرى . وسنذكر بعض الأمثلة فيما يأتي: .

١- التأكيد :

يقول الله تعالى { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم } [الزمر : ٥٣] ويقول سبحانه (وإذا

جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقال سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم } [الأنعام : ٥٤] .

هاتان آيتان من كتاب الله تعالى ختمت الأولى بقوله سبحانه (أنه هو الغفور الرحيم) وختمت الثانية بقوله سبحانه { فإنه غفور رحيم } ، ففي الجملة الأولى جاء التأكيد بضمير الفصل (هو) وضمير الفصل هذا إنما يؤتى به للتأكيد ، ولفوائد بلاغية ذكرت في كتب القوم . فإذا أردت أن تؤكد على أن الإسلام هو علاج الأمة من أمراضها جميعا ، فإنك تقول (الإسلام هو العلاج) فتأتي بهذه الكلمة (هو) .

أما الفرق الثاني بين الجملتين فهر أن الجملة الأولى جاء فيها الخبر معرفاً (الغفور الرحيم) وليست كذلك في الجملة الثانية ، وتعريف الخبر يفيد الاختصاص والقصر ، ألا ترى أنك تتذوق الفرق بين قولك (الله ناصر) وبين قولك (الله هو الناصر) ، لأنك في الجملة الأولى كل الذي أثبتته وجود النصر من الله ، إلا أنه لم يفهم من هذا القول أن غير الله لا ينصر ، أما الجملة الثانية تثبت أن النصر من عند الله وحده ، وأنه لا ناصر إلا هو تبارك وتعالى . وذلك لأن الجملة الأولى كانت تخاطب أولئك المسرفين على أنفسهم ، الخائفين ، القانطين ، وأن الجملة الثانية إنما جاءت حديثا عن المؤمنين الذين لم يكن منهم كبير خطأ ولا عظيم ذنب ، ولا كثير معصية التأكيد في الجملة الأولى – إذن – كان متفقا مع نفسية أولئك الذين خاطبهم القرآن وكأنهم أسرفوا على أنفسهم ولا ضرورة له في الجملة الثانية.

(٢) يقول الله تعالى (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) [يوسف : ٢] (إنا أنزلناه في ليلة القدر) [القدر : ١] { إنا أنزلناه في ليلة مباركة } [الدخان : ٣] ، { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم } [النحل : ٤٤] ويقول سبحانه { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } [الحجر : ٩] . قف مع هذه الآية الأخيرة وستجد أن نظمها يختلف عن الآيات السابقة ، فهذه الآية الكريمة كثرت فيها التأكيدات ، ولعلك تلحظ هذا ، ففي الجملة الأولى من الآية الكريمة ذكر ضمير الفصل نحن ، وفي الجملة الثانية منها (وإنا له لحافظون) ذكر مع إن واسمها لام التأكيد ، ثم جيء بهذه الجملة الإسمية { إنا له لحافظون } . وبالجملة فقد أكدت هذه الآية الكريمة بمؤكدات كثيرة ، فهذه الآية الكريمة جات تتحدث عن شأن خطير من شؤون هذه الأمة ، هو تكفل الله تبارك وتعالى يحفظ هذا الكتاب ، فلم يكله إلى الناس ليحفظوه كما وكل الكتب السابقة ، وفي هذا إقامة الحجة على الأمة فالأمر أن بدلت وغيرت فذلك لتبدل كتبها ، ولكن القرآن باق لا يتغير ، فأبي عذر للأمة إن هجرته وتركته واستبدلت به غيره.

(٣) يحدثنا القرآن الكريم عن نبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهو يدعو قومه

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ أَالْقَدْمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ

الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ

الَّذِينَ ﴿الشعراء: ٧٥-٨٢﴾ يلاحظ وجود ضمير الفصل مقترنا ببعض الأفعال دون

بعضها الآخر ، فقد جاء هذا الضمير مقترنا بالأمر التالية : الهداية ، الإطعام والإسقاء

و الشفاء ، أما الخلق ، والإماتة ، والمغفرة ، فجاءت خالية من هذا الضمير ولم يكن

ذلك ناشئاً عن التفنن في العبارة ، أو الاكتفاء بذكره في بعض المواضع دون بعضها

الآخر ، وإنما جاء ذلك لغرض وهدف ؛ ذلك أن قضية الخلق ، والإماتة والإحياء ،

والمغفرة لا ينازع فيها أحد ، فلا يستطيعون أن يدعوها لأصنامهم التي يعبدونها

ويعكفون عليها فلم تكن هذه القضايا بحاجة إلى التأكيد بهذا الضمير . أما الأمور

الأخرى وهي الهداية والشفاء ، والإطعام والسقيا ، فهي مما يدعون أن لغير الله فيها

شأناً وغيرهم يطلبون منها الهداية والتوفيق والشفاء من أمراضهم ، وإذهاب الفقر عنهم

، ولذلك وجدناها مقترنة بضمير الفصل ، لأنها بحاجة إلى التأكيد ، الذي يزيل شبهات

النفس ، ويجعل هذه الأمور جميعاً من شأن الله تبارك وتعالى وحده